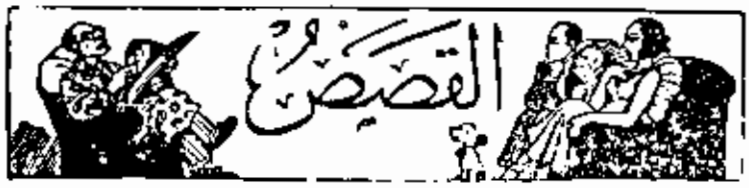

الصـــــورة ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد

سمعت من يقول لصديقه ، وهما على مقربة من مجلسي — أنظر — ها هو ذا ميليال !

واتجهت إلى هذا الذي يشيرون إليه بإعجاب ودهشة ، إذ أنني كنت في شوق للتعرف على هذا الرجل الذي تعبده النساء — هذا الرجل الغريب ، الذي تهالك عليه بنات حواء !

كان قد تجاوز سن الشباب بقليل ، يبدو للعين في هيئة غريبة ، غير مألوفة ، شعره غزير ، يسدل حتى كتفيه ، ويغطي رأسه حتى ليبدو وكأنه قبعة جلدية كتلك القبعات التي يلبسها أهل الشمال ! ولحيته ناعمة ، طويلة ، تداعب صدره ، وكأنها قطعة منتزعة من فرو معطف نسائي جميل !

رأيته يتحدث لامرأة ، وفي حديثه كثير من اللطف والرقة ، قد أحنى جذعه في احترام ، وهو يوجه إليها نظرات لطيفة إذا استطعت أن تدرك منها شيئاً ، فإنما أنت تدرك ، عاطفة فيها مزيج من الحنان والعطف والاحترام !

كنت قد سمعت طرفاً من حياة هذا الرجل — وعرفت أن بضع نساء قد أحبنه حتى العبادة ، وتفانين في حبه إلى حد لا يتصوره العقل ، وسمعت اسمه يتردد في كثير من قصص الحب ، فكنت إذا ما سألت أولئك النسوة اللواتي كن يطنبن في مدحه ، ويندفعن في التحدث عن صجاياه ، وعن سر سحره الذي يسحرهن وجاذبيته التي تجذبهن ، كن يجبنني بعد تفكير عميق ، وتأمل طويل ، بأنهن لا يعرفن هذا السحر . ولا يدركن لهذه الجاذبية سراً — كل ما يعرفن ، أنهن ينجذبن له لأول نظرة ، ويفتتن بسحره لأول لقاء !

واستطيع الآن ، وبعد أن رأيته ، أن أؤكد أنه لم يكن جميلاً ، كما أنني أستطيع أن أقول ، وأنا لا أنجني عليه ، أنني لم أجد فيه شيئاً من تلك الخصال التي يتصف بها عادة ، أولئك الرجال الذين يجتذبون إليهم قلوب النساء ، لذلك رحت أتساءل في دهشة عن سر هذه الجاذبية . أهو كامن في ذكاء الرجل ؟ — ولكني لم أسمع من يمتدح فيه الذكاء ! — أهو مختف في مظهره ؟ — ربما ! — ألا يمكن أن يكون مكمن السر في صوته ؟ — وإنما هنا لك غيره من يمتلك مثل هذا الصوت ، المشحون بالرقة ، والحنان ، والعذوبة !

ومر أحد معارفي ، فاستوقفته ، وسألته — أتعرف السيد ميليال ؟

قال في دهشة — نعم !

قلت في رغبة واندفاع — أرجوك — قدمني إليه .

وبعد دقيقة — دقيقة واحدة فقط ، كنا نتصافح ، ونتجاذب أطراف الحديث !

كان حديثه مرحاً ، هادئاً ، متزناً . وكان صوته جميلاً ، رقيقاً ناعماً . إلا أنني سمعت من قبل أصواتاً أكثر تأثيراً في أذن السامع ، وأشد وقعاً في نفسه — سمعت أصواتاً تبعث السرور ، وتنشرح النفس الحبور — سمعت أصواتاً لا تجهد في تتبع معانيها ، تنساب من الشفاه سهلة ، لينة ، غير معقدة ولا متشابكة .

وبدا لي حديثه طبيعياً . لا ينبه الشعور بالملل . والمتحدث إليه يشعر بأنه يبادله الحديث في سهولة وبساطة . وأن الألفاظ تنساب من فمه بسهولة ، ومن غير تفكير أو عناء !

ومع أن المدة التي مضت لتعرفي عليه لم تزد على الربع ساعة ، إلا أنني وجدت نفسي ، وكأنني أعرفه منذ ربع قرن ! — شعرت نحوه كما أشعر نحو صديق قديم . أفكاره ، وحركاته ونزعاته ، لم تكن غريبة عني . في هذه الفترة القصيرة من الزمن ، شعرت وكأن كل ذلك التكلف والتحفظ ، وكل تلك الحواجز والعادات التي تقف عادة بين الناس ، قد انهارت كلها مرة واحدة ، وتقاعست من أساسها ! ... والمعروف أن تلك الحواجز والعادات ، وذلك التكلف والتحفظ لا تسقط بين الناس مرة واحدة ، وإنما تسقط تدريجياً الواحدة بعد الأخرى . تسقط مع مرور الزمن . وتولد أركان المعرفة ، وتوثق عرى الصداقة .

وافترقنا بعد أن أعطاني عنوان بيته ، ودعاني لتناول الغداء عنده في اليوم التالي . إلا أنني نسيت الموعد بالضبط حين ذهبت إليه في اليوم التالي ، ووصلت قبل الموعد فلم أجده هنالك . فاستقبلني خادم صموت ، قادني إلى غرفة الاستقبال ، حيث جلست على مقعد وثير وكأني في بيتي !

إن مشاعر المرء تختلف بالنسبة للغرف التي يدخلها — بعضها يشعرك بالضيق ، وبعضها يشعرك بالكآبة ، والبعض الآخر منها يشعرك بالبلادة ! — أن عيوننا كقلوبنا ترتاح لأشياء وتشمئز من أشياء أخرى !

وأخذت أنظر إلى مايحيطني . وأتأمل فيما يدور حولي . فلم أجد ثمة شيئاً غير مألوف ، فالأثاث بسيط يغلب عليه القدم . والستائر من حرير شرقي ناعم . وفي صدر الغرفة ، في مواجهتي صورة لامرأة متوسطة الحجم ، يظهر منها الرأس والقسم الأعلى من الجسد — وبيدها كتاب .

كانت المرأة في مقتبل العمر حاسرة الرأس . وكان شعرها الناعم مرتباً في بساطة ، يبدو على شفتيها طيف ابتسامة حزينة كئيبة . والصورة طبيعية لاأثر للتكلف والتصنع فيها .

إن مارأيته من صور قبل الآن ، كانت البهرجة تغلب عليها بوضوح ، حلى ، وجواهر ، ولباس أنيق ، وشعر مصفور في عناية . فكانت تلك الصور تشعرني لأول وهلة ، أن صاحب الصورة قد تصنع كل ذلك التصنع لأنه كان يعلم سلفاً بأنه جالس أمام المصور — وإنه يريد أن يرضي أحبابه وأصدقاءه الذين سيرون صورته . لذلك كرهت تلك الصور البعيدة عن الواقع ، الشديدة التكلف والتصنع — أما هذه الصورة ، فأنا أعجز عن وصفها . ولا أحس بالخجل إذا قلت بأنني أعجز عن التعبير عن شعوري تجاهها .

كانت مثبتة في مكان بارز ، منعزلة ، تبتسم ابتسامة باهتة يشوبها الحزن ، ويخالطها الأسى . تماماً كما يبتسم بعض الناس حين يختلون بأنفسهم ، ويتذكرون ماضي من حياتهم . فيبتسمون ، يبتسمون لأنفسهم حتى إذا كانت تلك الذكريات مرة وحزينة !

كانت منفردة في مكانها ، غير شاعرة بهذه الأشياء التي تحيط بها . وهذه الصورة قد خلقت في الغرفة جواً ساكناً ، يشيع فيه الهدوء — هذه الصورة هي الشيء الوحيد الذي يبعث الحياة في هذه الغرفة !

من الممكن أن يقتحم هذه الغرفة جمع غفير من الناس يضحكون فيها ويمرحون ، يشربون ويغنون ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يبعثوا هذه الحياة التي بعثتها الصورة نفسها !

وبدت لي نظراتها غريبة — بدت لي مصوبة نحوي . إن كل الصور تقابلك بنظراتها ، أما هذه الصورة فإنها لاتراني وإن كانت مصوبة نحوي بالضبط كما أنها لاتستطيع أن ترى شيئاً آخر أبداً . هي نظرات شاردة ، تنظر ولا ترى ، مما ذكرني بقول الشاعر بودكيرز « آه من نظراتك — إنهن يجذبني كما تجذبني نظرات الصور ! » .

نعم — إن هذه الأعين المرسومة بالدهان على الورق الجامد لتبدو لي ، وكأنها حية ، وإنها ستحيا إلى الأبد .

آه — يالله من ساحر ، يخدر الأعصاب ، ناعم كمرور النسيم كصوت القبلات ، محرك للعواطف كلون السماء عند الغروب — آه — إن هاتين العينين لتشبهان الليل الذي يعقب الغروب — وما أجمل الليل ، وما أجمل الغروب !

من هذا الإطار الحابس ، تنظر إليك هذه العيون في رقة وحنان — نعم ، إن هذه العيون التي أبدعتها يد الفنان على الورق بعدة حركات من ريشته ، لتبدو لي هي الأخرى ، مفعمة بالأسرار — أسرار المرأة ، الكامنة أو الظاهرة . إن هذه العيون لتحمل كل ماتستطيع المرأة التعبير عنه بنظراتها . هذه النظرات التي تنبه في قلوبنا الإحساس الأول للحب !

وأخيراً ، انفتح الباب ، ودخل منه السيد ميليال ، فاعتذر لي عن تأخره ، فسامحته وأنا أعتذر إليه بدوري عن تبكيري في الحضور . ثم سألته أن يفسر لي تطفلي ، ويجيبني عن سؤالي عن صاحبة الصورة ، ومن هي ماهما تكون ، فقال « إنها والدتي — ماتت في ريعان الصبا وميعة الشباب ! » .

وعندئذ — عندئذ فقط انكشفت لي كل الأفنعة عن سر جاذبية هذا الرجل ، وتأثيره على النساء !

يوسف يعقوب حداد

(البصرة : عراق) ص . ب . رقم ١٥

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم والإقامة في الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ٩٤٩، لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة في الفنادق.

وتشمل هذه التذاكر الإقامة في الفنادق المبينة بعد:

اسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة مليم جنيه
فندق وتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	١٦ ر ٩٣٠
فندق كاتاركت بأسوان	» »	١٩ ر ١٢٠
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	١٥ ر ٠٨٠
	» » » » الثانية	٩ ر ٣٢٥
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	١٧ ر ٢٧٠
	» » » » الثانية	١٠ ر ٠٩٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	١٤ ر ٣٠٠
	» » » » » للثانية	٨ ر ٤٤٥
فندق السائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١٢ ر ١١٠
	» » » » الثانية	٦ ر ٣٥٥
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١٢ ر ١١٠
	» » » » الثانية	٦ ر ٣٥٥

مطبعة الرسالة